الحمام الهُدَّى
في تاج العروس

الأستاذ صبحي البصّام

١ ـ رجعتُ الى الجـزء الأول من « تـــاج العروس » من طبعـــة الكويت ، بتحقيق الأستاذ الفـاضل عبـد الستـار أحمـد فرّاج ، لأنظر في كلمة ، ثم قرأتُ مقدمة المؤلف ، فوجدتـه يـذكر فيهـا (١ : ٦) محمـد بن قـاسم بن عـزرة الأزدي ، ويقـول فيـه : « وكتـاب الحمـام والهـدى لـه أيضاً »[1] . فأنكرتُ الواو في (والهـدى) ، وأنكرتُ إهمـال الأستـاذ المحقق

---

(١) قال المحقق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج معلقاً : « بهامش المطبوع : قولـه (لـه أيضاً) أي لابن قاسم . وفي كشف الظنون أن كتاب الهدى لأبي عبد الله محمد بن القيّم ، فلعل التحريف وقع في القيّم أو القاسم . وفيـه أيضاً ان كتـاب اللجـام وكتـاب الحمـام لأبي عبيـدة معمر بن المثنّى ، فليحرّر »[1] .

[(1) لقد نقل الأستاذ عبد الستار أحمد فراج رحمه الله وأفاض عليه سحـائب رضوانـه الى طبعة التاج الجديدة الصادرة في الكويت التعليق الذي جاء في هامش طبعة التـاج الأولى (١ : ٤ ، مصر ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ هـ) ، دون أن يعقّب عليه بشيء .

والحقُّ أنه لاصلة بين كتـاب الحمـام الهُدّى لابن قـاسم ، وكتـاب الهَـدْي (بفتح الهـاء وسكـون الـدال) لـلامـام العـالم أبي عبـد الله محمـد بن القيّم . إن صـاحب كشف الظنـون (٢ : ١٤٧١) إنما ذكر كتاب الهَـدْي للامـام أبي عبـد الله محمـد بن قيّم الجوزيـة (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ) ، وهو يعني بذلك كتابه الشهير : « زاد المعاد في هَدْي خير العبـاد » ، وصـاحب الكشف لم يدع مجالاً للظن أو الشك ، قال (٢ : ٩٤٧) : « زاد المعاد في هَدْي خير العباد ـ مجلـدان ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي المتوفّى سنـة ٧٥١ هـ ، ويسمى أيضاً بالهَدْي » / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تثقيل الدال . وعدتُ إلى طبعة قديمة لتاج العروس (١ : ٤) فإذا هي أيضاً (والهدى) . وأظن أنه تحريف من الناسخ ، والصواب « الحمام الهُدَّى » بحذف الواو وتثقيل الدال .

والهُدَّى جمع الهادي ، وهي صفة للحمام . ونظير هذا الجمع (الغُزَّى) جمع الغازي ، والعُفَّى جمع العافي .

فمن استعمال (الهُدَّى) ماجاء في كتاب القيان : « فكتبتْ كتاباً وصلته بجناح طائر مع الهُدَّى كان معها ، أرسلته تعلم أم جعفر ذلك » (رسائل الجاحظ ٢ / ١٥٧ ت . عبد السلام هارون) ، وأظن أن (مع) بعد (طائر) تحريف (من)[2] .

ومن استعمال (الغُزَّى) قوله تعالى ﴿ إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزَّى ﴾ [سورة آل عمران / ١٥٦] .

ومن استعمال (العُفَّى) قولُ أعشى همدان[3] (الجليس الصالح ١ : ٤٠٢ ـ ٤٠٤) :

ومما أُنْعِشُ العفَّى إذا ما تراءى وجهُ دهرهم عبوسا

[(2) الذي جاء في رسائل الجاحظ (٢ : ١٥٧ ط القاهرة ١٩٦٥ م) : « وصلته بجناح طائرٍ من الهُدَّى كان معها .... » وعلّق الأستاذ عبد السلام هارون بقوله : « الهُدَّى : جمع هاد ، وهو الحمام المدرب الذي يسمّى حمام الزاجل . انظر حواشي الحيوان ٢ : ٧٩ والحيوان ٣ : ٢١٣ ، ٢١٧ » / المجلة] .

[(3) القائل أحد فرسان الجاهلية من قبيلة مهرة ، ولم يذكر عوانة بن الحكم الكلبي راوي الحديث اسمه ، وإنما ساق خبره مع جد أعشى همدان ورجل آخر من همدان اسمه أشوع بن أبي مرثد .

والبيت المذكور من قصيدة قالها هذا الفارس الجاهلي يخاطب بها الهمدانيين المذكورين ، وكانا مغوارين فاتكين / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال مؤلف الجليس الصالح معافى بن زكريا النهرواني في تفسير البيت : « جمع العافي : عُفَّى على وزن فُعَّل ، مثل غازٍ وغُزَّى ، وهادٍ وهُدَّى .... ومثله في الصحيح : راكع ورُكَّع » .

٢ ـ وأيضاً يقال في جمع الهادي : الهُدّاء بالمد . جاء في الحيوان (٢ : ٧٩) : « وزعم أن الحمام الهُدّاء انما هو في الخصر والنمر » ، وأظن أن (الخصر) بالخاء المعجمة والصاد المهملة تصحيف (الخضر) بالمعجمتين ، أي السود[4] . وكان المحقق الأستاذ الفاضل عبد السلام هارون رآها في الأصول (الهدا) فأحسن إذ جعلها (الهُدّاء) بالهمز ، وقال في حاشية له : « ويظهر أن القصر والمدّ لغتان جائزتان فيها » .

قلت : ونظير الهُدّاء بالمد الغُزّاء جمع غاز . قال الطوسي في تفسير التبيان ، بعد أن ذكر أن غُزَّى جمع غاز : « ويجوز غُزّاء بالمدّ ، كخارب وخُرّاب ، وكاتب وكُتّاب » (سورة آل عمران / ١٥٦) .

٣ ـ وأيضاً يقال في الجمع (الحمام الهوادي) ، وممن استعملها الجاحظ في الحيوان (٣ / ١٤٧) ، وذلك كالغوالي جمع الغالي ، والبواقي جمع الباقي .

٤ ـ وأظن أن الهادي صفة لهذا الطائر ، معناها المهديّ ، أي هي فاعل بمعنى مفعول ، لأنه هُدي لطريقه بالتدريب ، وهذا على القلب . قال الفراء في كتابه معاني القرآن (٢ / ٣٠٤) في قوله تعالى : ﴿ أن

[(4) لعل (الخصر) بمعجمة فمهملة غلط مطبعي . فقد جاءت (الخضر) بمعجمتين على الصواب في الحيوان ـ الطبعة الثالثة . وجاء في الحيوان (٣ : ٢٤٥ ط ٣) وهو يتحدث عن ألوان الحمام : « إلا أن الهداية للخضر والنمر ..... وكما أن عقول سودان الناس وحمرانهم دون عقول السمر ، كذلك بيض الحمام وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية » / المجلة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يهديني سواء السبيل ﴾ [سورة القصص ـ ٢٢] : « وقوله أن يهديني سواء السبيل : الطريق الى مدين ، ولم يكن هادياً لطريقها » ، أي مهدياً لطريقها[5] .

٥ ـ والحمام الهُدَّى ، وأيضاً يقال لها حمام الزاجل ، هي التي تدرَّب على حمل الرسائل من موضع إلى موضع . قال الجاحظ في الحيوان (٢ / ٧٩)[6] : « وهنَّ اللائي يدرّبن ويُرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجئن من البعد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك من مواضع كثيرة مسماة » .

قلت : قوله (مرحل) في الموضعين ، بالراء والحاء المهملتين ، أظنها تصحيف (مزجل) بالزاي والجيم ، وهو موضع إرسال الحمام الهُدَّى . قال الليث : « والزجل : ارسال الحمام الهادي من مزجل بعيد » (تهذيب اللغة للأزهري ١٠ / ٦١٦)[7] .

ومن هذه المواضع خشبات . قال فيها الصغاني في التكملة والذيل والصلة : « وهي موضع وراء عبَّادان على بحر فارس ، يُطلق منه الحمام غُدوة فتأتي بغداد العصر . وبينها وبين بغداد أكثر من مئة فرسخ[8] » (مادة ـ خشب) .

[(5) ذكر اللغويون أن هدى لازم متعد ، وأن هدى اللازم واهتدى بمعنى يقال : هديته فهدى أي اهتدى (انظر اللسان وتاج العروس) / المجلة] .

[(6) لعله سبق قلم من الكاتب . فصاحب النص المذكور هو ابن سيده في كتابه المخصص (٨ : ١٧٠) ، وقد أورد قسماً منه الأستاذ عبد السلام هارون في حاشيته على كتاب الحيوان (٢ : ٧٩) / المجلة] .

[(7) انظر النص الذي نقله الأزهري عن الليث في كتاب العين المطبوع ببغداد (٦ : ٦٧) / المجلة] .

[(8) يقول الجاحظ (الحيوان ٣ : ٢١٤ ـ ٢١٥) : « وللحمام من حسن الاهتداء ، وجودة الاستدلال ، وثبات الحفظ والذكر ، وقوة النزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ماليس =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأخبرني بعضهم أنه في نحو سنة ١٩٢٨ وقع طائرٌ من الحمام الهُدَّى في دارهم ببغداد وكان بلغ منه الإعياء مبلغه ، فأمسك به فرحاً ليلعب به ، وكان يومئذٍ طفلاً ، فوجد رسالة في رجله أو جناحه ـ والشكّ مني ـ فأخبر أباه[٢] ، فاذا هي من حاجٍّ إلى أهله بالموصل ، يخبرهم فيها أنه بلغ المدينة المنوّرة . فأبقاه أبوه يوماً عندهم ليستريح ، وأطعمه وسقاه ، وأرسله من الغد رجاة أن يصير إلى الموصل .

لندن ١٤ / ١١ / ١٩٨٤ م

= لشيء . وكفاك اهتداءً ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير يجيء من برغة لابل من العليق ، أو من خرشنة ، أو من الصفصاف ، لابل من البفراس ، ومن لؤلؤة » . ويقول (الحيوان ٣ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨) : « ومن كرم الحمام الإلفُ والأنس والنزاعُ والشوق ، وذلك يدل على ثبات العهد ، وحفظ ما ينبغي أن يحفظ ، وصون ما ينبغي أن يصان .... فنجده يُرْسَلُ من موضع فيجيء .... فيرسل إلى أبعد من ذلك فيجيء ، ثم يُصنع به المرار الكثيرة ، ويزاد في الفراسخ ، ثم يكون جزاؤه أن يُغَمَّر به من الرقة إلى لؤلؤة فيجيء » / المجلة] .

(٢) هو القائد العسكري حميد رأفة رحمه الله ، وكان درَّس الملك غازياً رحمه الله في الكلية العسكرية ببغداد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net